قضية المخطوفين مجدداً أمام القصر الحكومي
«أعيدوا أولادنا أو أعلنوا وفاتهم»

المعتصمات وبراج امام القصر الحكومي (بلال قبلان)

العابر امس قرب القصر الحكومي في الصنائع قبيل الظهيرة، يدرك تماما أن آثار الحرب اللبنانية لم تنته تماما ببناء ما تهدم ومصادرة السلاح وحل الميليشيات، وانها لا تزال تطبع في وجدان الكثيرين جروحا بليغة لا تلبث ان تنكأها بين لحظة وأخرى ذكرى «المخطوفين» من شبابهم واعمارهم، فيما تبقى عرضة لمواصلة تزيفها على ايقاع انتظار محكوم بخلفية المصائر المجهولة!

١٧ ألف لبناني خطفوا اوائل الثمانينيات على ايدي ميليشيات وقوى لبنانية متناحرة في حين بقي اهاليهم في مهب.. الريح! أمهات تنادين من مختلف المناطق اللبنانية ليطالبن تحت «سقف» لجنة اهالي المخطوفين ولجنة الدفاع عن الحريات العامة والديموقراطية، بعودة الغائبين.. بل «على الاكثر» بتقصي اوضاعهم واكتشاف ما اذا كانوا احياء او في عداد الموتى، في اعتصام دام ساعتين، انتهى بعد محاولات لمقابلة رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري، بلقاء امين عام رئاسة الوزراء هشام الشعار من قبل رئيس اللجنتين المحامي سنان براج.

حملن صور ابنائهن او ما تبقى منها على اخراج قيد او بقايا صحيفة.. يضممنها الى صدورهن حينا ويرفعنها حينا آخر مصرخات بغلذات اكبادهن، الذين «خطفوا شبانا ويفترض اليوم ان يكونوا رجالا»: «انه ابني»... «انه البكر»... كان طالبا جامعيا.. هذا ما كررته الامهات وهن يلتفتن يمنة ويسرة باتجاه العابرين تارة والاعلاميين تارة اخرى، والعناصر الأمنية التي تواجدت في المكان طورا تشدهم من ايديهم وتصر على سرد الحكاية (الخطف) من أولها، اعتقادا منهن انهن يضعن القضية في عنق «ابن الدولة» لايصالها الى المسؤولين!.

«تسال جعجع اين وضع اولادنا الذين كانوا في الكرنتينا؟ اين وضع حبيبة المساجين الذين كانوا لديه في ضبية؟ محامية اجنبية من داخل اسرائيل اعلنت مؤخرا ان جعجع كان سلم ٥٠٠ سجين الى إسرائيل.. ما مصير هؤلاء؟ وغيرها من الهتافات التي سرعان ما اغرقت المعتصمات في حالة هياج جماعي رفدتها دموع حارقة وكلام حار يكشف عن عجز اولئك عن الاعتياد على الغياب او كسر حدة الفراق بفعل السنوات، فشرعت بعضهن تستحضر اقوال ابنها وخصاله.. وكأنها فارقته بالأمس، ثم تصرخ بمطالبها المدعومة باللافتات التي حملت عبارات من مثل: «من حقنا أن نعرف مصير اولادنا».. «هل بناء الحجر اهم من عودة البشر؟».. «لا عدالة دون الافراج عن المخطوفين».. «السكوت عن الجريمة جريمة ثانية»...

والاعتصام بحسب سنان براج هو لتذكير الدولة بهذه القضية، فجميع المسائل جرى حلها ما عدا قضية المخطوفين، تتعاقب الحكومات والصمت يلف جميع المسؤولين، فلتكشف عن مصير هؤلاء كما حصل في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث جرى الاستقصاء عن الناس بشكل جماعي، فوجد البعض وتم اعلان وفاة البعض الآخر.

وعلى هذا الأساس يعتبر براج ان قضية هؤلاء المخطوفين قاسية جدا، في حين انه من المعروف عن غيرهم من المعتقلين انهم متواجدون في سجون إسرائيل.

وردا على سؤال، قال ان الدولة يمكن ان تكون متخوفة من بحث ملفات كهذه، باعتبار أن الخطف تم على ايدي شخصيات اصبحت اليوم في السلطة، نحن لا نريد ان نلعب اللعبة السياسية، كل ما نريده الكشف عن مصير ابنائنا، والا اضطررنا الى اللجوء الى اضراب عن الطعام واساليب تصعيدية أخرى.

وحول مدى امكانية مقابلة الرئيس الحريري، اشار الى «انه علم بوجودنا، وبدليل وجود العناصر الأمنية هنا، ولكن قرار اتمام اللقاء في يده هو».

في هذه الاثناء، حاولت المعتصمات قطع الطريق، فتصدت لهن العناصر الامنية، فاندفعت نظيرة الشيخ عمار تسأل: «إسرائيل تطالب برفاة جنودها، اليس لنا الحق بابنائنا نحن؟ ثم استسلمت لبكاء مرير وهي تقول: «انه البكر، انتظرته حتى يكبر.. كل شبر بندر، لو كان شهيدا لرفعت رأسي امام الناس، ولكان حيا عند الله»... ثم تمسح دموعها وهي تتمتم: «اصبت بضعف في النظر وبالقرحة، ووالده اجرى عملية القلب المفتوح.. لم يعد لنا طاقة على الانتظار!

نقترب من نظيرة ونسألها عن ابنها وحكايته، فتقول ان اسمه فادي احمد فاروق الحبال، مواليد ١٩٦٤، كان طالبا في المهنية العاملية، وخطف في ١٧ شباط عام ١٩٨٣ عند حاجز البربارة والده رقيب اول متقاعد وانا كنت ممرضة في ثكنة زغيب في صيدا، فقصدنا سوية حاجز البربارة، فقالوا في اليوم الأول انهم سمعوا باسم فادي، وفي اليوم التالي تنكروا له.

وتضيف: بعد سنوات عرفنا ان ابني في المجلس الحربي في الكرنتينا، وقيل لنا انه لدى الشيخ بطرس خوند، ثم قيل انه قيد التحقيق اما يسلم الى الدولة واما يعود الى بيته، كما ساعدنا احد معارفنا بزيارة السجن المركزي (الطابق السابع تحت الأرض) في ضبية، ولم نوفق! وعندما سلمت القوات اللبنانية في العام ١٩٨٥، ٣٥ عنصرا للشيخ حسن خالد اكد لنا احد هؤلاء ان فادي كان بصحبته في الاوتوبيس، وانه من الممكن ان يكون قد سلم الى المحكمة العسكرية... حتى اننا قصدنا سمير جعجع وقال انه لم يسمع بابني!!

وهذه الدوامة تنطبق، وعلى نطاق أوسع، على نقية بري التي خطف اولادها الثلاثة حسيب ومحمد وموسى في ١٧ ايلول عام ١٩٨٢ من منطقة الاوزاعي، والخاطف بعث لها برسالة في ما بعد مع شخص من آل عليان، يخبرها فيها، على حد قولها، بان اولادها موجودون لدى القوات اللبنانية، ثم قيل لها «على زمن حرب ميشال عون» انهم سلموا الى إسرائيل! والمضحك المبكي بالنسبة الى منتهى حيدر ان ابنها سمير محمد الخرفان الذي كان عنصرا في الجيش، وخطف عام ١٩٨٣ من صيدا، سرعان ما توقف راتبه الشهري لاتهامه بانه فر من الجيش!!

وتبقى معاناة صبحية محمد فارس (عرب وادي خالد) المعاناة الأكبر.. اولها افتقادها لزوجها محمد ابو زيد واولادها الثلاثة تيسير وحمزة وناصر في عملية خطف نفذتها القوات اللبنانية بحسب قولها عام ١٩٨٢، وثانيها عدم التمكن من الاستحصال على الجنسية اللبنانية لاولادها المخطوفين بالرغم من كل المراجعات التي قامت بها بذريعة وجوب احضار الوالد شخصيا، وذلك ليتسنى لها اسوة بغيرها من الامهات العودة الى الدولة اللبنانية كمرجع رسمي في قضيتها.

وصبحية التي شهدت عملية الخطف وتعرضت اثناءها للضرب، تروي كيفية زيارتها في ما بعد للخاطف وهو محقق في المجلس الحربي، في منزله قرب المحكمة العسكرية في عين الرمانة، حيث طلب منها احضار ملابس داخلية للمخطوفين بعد ١٥ يوما الى البرزة، وعندما فعلت تعرضت للتهديد والاهانة.

ويقطع حبل حديث صبحية «خبر» العنصر الامني بعدم السماح بمقابلة الرئيس الحريري، فسادت حالة من البلبلة، هوت خلالها في منتصف الطريق معرقلة حركة السير، وراحت تصرخ وتلطم وجهها في حركة انفعالية، مما استدعى تدخل العناصر الأمنية.

وبعد اخذ ورد، سمح لستان براج وجوليات عطا الله بلقاء هشام الشعار نيابة عن الرئيس الحريري، قال على اثره براج «ان الشعار وعدنا خيرا، على ان ازوده شخصيا بالمشروع الاساسي لاهالي المخطوفين الذي نظم عام ١٩٩١، على ان نعاود الاتصال به في اقرب فرصة».

وبناء عليه، أعلن تعليق الاعتصام حتى يتبين مدى الالتزام بالوعد.

فاتن قبيسي